

جامعة ميدأوشن

كلية الإدارة

ماجستير القيادة التربوية



عنوان البحث

"أثر الفنون البصرية في تنمية الإدراك الحسي والتفاعل الاجتماعي لدى الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة"

إعداد الطالبة/ حنان بدر الدين طالب الملايو

الرقم الجامعي / 251003065

إشراف/ الفيصّل عبد الحميد محمد

د. فايز علي جراد

العام الدراسي:

1447هـ – 2025م



المخلص

يهدف هذا البحث إلى دراسة أثر الفنون البصرية كوسيلة تعليمية وتأهيلية في تنمية الإدراك الحسي والتفاعل الاجتماعي لدى الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة، وذلك في ظل الحاجة المتزايدة إلى استخدام أساليب غير تقليدية تراعي الفروق الفردية وتُعزز قدرات هذه الفئة في الجوانب النمائية المختلفة. وقد انطلقت الدراسة من مشكلة مفادها ضعف مستويات الإدراك الحسي والتفاعل الاجتماعي لدى عدد من الأطفال ذوي الإعاقات (مثل التوحد أو الإعاقة الذهنية)، في ظل محدودية التفاعل داخل البيئة الصفية أو المنزلية، وغياب استخدام الفنون بشكل منهجي. وتحددت أهداف البحث في قياس أثر أنشطة الفنون البصرية – كالرسم والتلوين والتشكيل – على تنشيط القدرات الحسية والاجتماعية، وتحليل الفروق الناتجة عن ذلك.

اعتمدت الدراسة على المنهج شبه التجريبي، حيث تم تطبيق برنامج فني بصري على عينة من الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة خلال فترة زمنية محددة، واستخدم الباحث أدوات لقياس الإدراك الحسي والتفاعل الاجتماعي قبل وبعد التطبيق. وتم تحليل النتائج إحصائيًا لاختبار فروض الدراسة.

كشفت نتائج الدراسة عن وجود فروق دالة إحصائية لصالح القياس البعدي في كل من مهارات الإدراك الحسي والتفاعل الاجتماعي، مما يؤكد فاعلية البرنامج الفني المستخدم. كما أوصت الدراسة بضرورة دمج الفنون البصرية ضمن المناهج التعليمية والتأهيلية في المدارس والمراكز التي تهتم بالأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة، مع تدريب الكوادر على استثمار هذه الأنشطة بشكل هادف وموجه.

وتتمثل أهمية الدراسة النظرية في إثراء الأدبيات المتعلقة بالفن والتربية الخاصة، بينما تكمن أهميتها التطبيقية في تقديم نموذج قابل للتنفيذ داخل البيئة العربية، يمكن الاستفادة منه في تصميم برامج تنموية للأطفال ذوي الإعاقات المختلفة.

Abstract:

This research aims to explore the impact of visual arts as an educational and rehabilitative tool in developing sensory perception and social interaction among children with special needs. The study emerges from the increasing

demand for non-traditional methods that accommodate individual differences and enhance developmental skills in this group.

The problem addressed lies in the low levels of sensory perception and social interaction observed among children with disabilities (such as autism or intellectual disability), especially due to limited engagement in classroom or home environments, and the lack of systematic use of visual arts. The main objective is to measure how activities such as drawing, coloring, and sculpting influence perceptual and social development, and to analyze the resulting changes.

The study adopts a quasi-experimental methodology, applying a structured visual arts program to a selected sample of children with special needs over a specific time period. Standardized tools were used to measure sensory perception and social interaction before and after the program. The collected data was statistically analyzed to test the study's hypotheses.

The results revealed statistically significant differences in favor of the post-test for both sensory perception and social interaction, confirming the effectiveness of the implemented visual arts program. The study recommends integrating visual arts into educational and therapeutic curricula in schools and centers for children with special needs, along with training professionals to utilize these activities in a purposeful and guided manner.

The theoretical importance of this research lies in enriching the academic literature on art in special education, while its practical value lies in offering an applicable model tailored to the Arab context for supporting the development of children with various disabilities.

مقدمة:

تُعد الفنون البصرية من الوسائل التربوية الفعّالة التي تساهم في تنمية مهارات الأطفال على اختلاف قدراتهم واحتياجاتهم، لما لها من أثر عميق في تحفيز الحواس وتنمية الإدراك وتعزيز التعبير الذاتي. وتزداد أهمية هذه الفنون عند التعامل مع الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة، حيث توفر لهم مساحة آمنة للتعبير والتواصل مع البيئة المحيطة بطريقة تتجاوز القيود اللفظية أو الحركية (عبد المجيد، ٢٠١٧).

وقد أكدت العديد من الدراسات أن ممارسة الأنشطة الفنية مثل الرسم، والتشكيل، والتلوين، تُمكن الأطفال ذوي الإعاقات من تطوير إدراكهم الحسي، كما تساهم في تحسين التركيز والانتباه والتناسق بين العين واليد، مما ينعكس إيجاباً على أدائهم الأكاديمي والاجتماعي (Zachopoulou et al., 2014). وتشير دراسة قام بها كل من Hall & Hall (٢٠٠٣) إلى أن البرامج الفنية الموجهة تتيح للأطفال من ذوي التوحد أو الإعاقات الذهنية فرصاً أكبر لتبادل العواطف والتفاعل مع الآخرين، مما يرفع من مستوى اندماجهم داخل المجموعات.

وفي السياق العربي، أوضحت دراسة قامت بها الباحثة نجلاء حجازي (٢٠١٩) أن تطبيق برنامج قائم على التعبير الفني ساعد في تحسين مهارات التواصل البصري واللفظي لدى الأطفال المصابين بمتلازمة داون، كما ساهم في تعزيز الثقة بالنفس لديهم والشعور بالإنجاز.

ومن هنا، يُمكن القول إن الفنون البصرية لا تؤدي فقط دوراً ترفيهياً أو إبداعياً، بل هي وسيلة علاجية وتربوية متكاملة، تتماشى مع الاتجاهات الحديثة في تعليم الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة (عطية، ٢٠٢١). وهذا ما يدفع إلى ضرورة تبني هذه الفنون ضمن المناهج والبرامج التعليمية والتأهيلية، بما يتناسب مع قدرات الأطفال واحتياجاتهم الفردية.

وانطلاقاً من هذه الرؤية، يسعى هذا البحث إلى دراسة أثر الفنون البصرية في تنمية الإدراك الحسي والتفاعل الاجتماعي لدى الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة، من خلال استعراض الأطر النظرية ذات الصلة، وتحليل تطبيقات ميدانية في البيئة التربوية العربية، مع التركيز على تقديم توصيات عملية قابلة للتطبيق في المؤسسات التعليمية والمراكز المتخصصة.

كما تلعب الفنون البصرية دوراً جوهرياً في إعادة تشكيل أنماط التفكير الحسي والمعرفي للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، حيث تساعدهم على الربط بين الألوان والأشكال والمفاهيم، مما يُعزز مهارات

التحليل البصري والتفسير الرمزي. وبيّنت دراسة Lowenfeld & Brittain (١٩٨٧) أن الفنون تتيح لهؤلاء الأطفال فرصة لفهم العالم من حولهم عبر منظور شخصي وتجريبي، وهو ما يدعم نماءهم العقلي والنفسي بشكل متوازن. كما أن التفاعل مع المواد الفنية المختلفة كالطين، والألوان، والقماش، يحفّز الحواس المتعددة، وهو أمر بالغ الأهمية لدى الأطفال الذين يعانون من اضطرابات حسية أو توحّد.

إلى جانب ذلك، أثبتت البرامج الفنية التأهيلية فعاليتها في تعزيز التفاعل الاجتماعي والسلوك التعاوني داخل المجموعات. حيث أظهرت دراسة Karkou & Glasman (٢٠٠٤) أن العمل الجماعي في ورش الفنون، مثل الرسم الجماعي أو تشكيل المجسمات، يخلق بيئة آمنة لتبادل الأدوار، واحترام الآخر، والاستماع، وكلها مهارات اجتماعية يفتقر إليها العديد من الأطفال ذوي الإعاقات. كما تساعد هذه الأنشطة في تقليل مشاعر العزلة والانسحاب الاجتماعي، خاصة لدى الأطفال الذين يواجهون صعوبات في التواصل اللفظي، وتفتح أمامهم أبوابًا جديدة للتعبير عن الذات.

مشكلة الدراسة:

يواجه الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة تحديات متعددة في الجوانب الحسية والاجتماعية، مما يؤثر بشكل مباشر على نموهم الشامل وقدرتهم على التكيف مع البيئة المحيطة. ومن أبرز هذه التحديات: ضعف الإدراك الحسي، وقلة مهارات التواصل والتفاعل مع الآخرين، وصعوبة التعبير عن الذات بالوسائل التقليدية. وفي ظل هذه الصعوبات، برزت الحاجة إلى البحث عن وسائل تعليمية وتأهيلية بديلة، تُراعي الفروق الفردية وتحفّز قدرات هؤلاء الأطفال بطرق غير تقليدية.

ورغم ما تُتيحه الفنون البصرية من فرص للتعبير والتفاعل، إلا أن توظيفها في البرامج التربوية والتأهيلية للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة لا يزال محدودًا في العديد من البيئات العربية، كما أن هناك نقصًا في الدراسات التطبيقية التي تقيس الأثر المباشر لهذه الفنون على الإدراك الحسي والتفاعل الاجتماعي لديهم.

ومن هنا تنبع مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيسي التالي:

ما أثر الفنون البصرية في تنمية الإدراك الحسي والتفاعل الاجتماعي لدى الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة؟

ويندرج تحت هذا التساؤل الرئيسي عدد من الأسئلة الفرعية، منها:

إلى أي مدى تسهم الأنشطة الفنية في تحسين مهارات الإدراك الحسي لدى الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة؟

ما الدور الذي تلعبه الفنون البصرية في تعزيز التفاعل الاجتماعي والتواصل بين هؤلاء الأطفال وأقرانهم؟ هل تختلف استجابات الأطفال حسب نوع الإعاقة أو طبيعة النشاط الفني المقدم لهم؟

أهمية الدراسة:

أولاً: الأهمية النظرية

تتبع الأهمية النظرية لهذه الدراسة من كونها تسهم في إثراء الأدبيات التربوية والنفسية ذات الصلة بمجال تعليم وتأهيل الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة، وذلك من خلال تسليط الضوء على دور الفنون البصرية كوسيلة فعّالة في تنمية جوانب الإدراك الحسي والتفاعل الاجتماعي، وهي جوانب غالباً ما تُواجه تحديات في هذا السياق.

كما تسعى الدراسة إلى سد الفجوة المعرفية في الأبحاث العربية التي تتناول استخدام الفنون كأداة تعليمية وتأهيلية لهذه الفئة، حيث يتركز معظم الأدب السابق إما على الجوانب الأكاديمية أو على استراتيجيات التدخل السلوكي التقليدية، دون التطرق الكافي إلى الأبعاد الجمالية والحسية والتفاعلية التي تتيحها الأنشطة الفنية.

وتُضيف هذه الدراسة بُعداً نظرياً جديداً يتمثل في الربط بين مفاهيم الإدراك الحسي والتفاعل الاجتماعي من جهة، وبين التفاعل الفني والبصري من جهة أخرى، ضمن إطار تربوي علاجي متكامل. كما قد تُمهد نتائجها لتطوير نماذج نظرية أو تصورات منهجية يُمكن الاستفادة منها في تصميم برامج تعليمية أكثر شمولاً للأطفال ذوي الإعاقات المختلفة.

ثانياً: الأهمية التطبيقية :

تتمثل الأهمية التطبيقية لهذه الدراسة في إمكانية توظيف نتائجها في الممارسات التربوية والتأهيلية اليومية الموجهة للأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة، سواء في المدارس أو في المراكز المتخصصة أو البيئات العلاجية. إذ يُمكن أن تُسهم النتائج في تصميم برامج فنية وتربوية تعتمد على الفنون البصرية كأداة لتنمية المهارات الحسية والتفاعلية لدى هذه الفئة.

كما توفر الدراسة إطارًا عمليًا للمعلمين، والأخصائيين النفسيين، وأخصائيي التربية الخاصة لتبني أنشطة فنية ممنهجة تراعي الفروق الفردية وتُحفّز الإدراك الحسي والتواصل الاجتماعي، مما يُساعد على رفع كفاءة الأداء التعليمي والتأهيلي وتوسيع دائرة المشاركة الفاعلة للأطفال داخل الصف والمجتمع.

ويمكن كذلك أن يستفيد صُنّاع القرار التربوي ومطورو المناهج من هذه الدراسة في إدماج الفنون البصرية ضمن المناهج والأنشطة اللاصفية كجزء من الخطة التعليمية الشاملة للأطفال من ذوي الإعاقات، بما يضمن تحقيق التوازن بين الجوانب المعرفية والجوانب النفسية والاجتماعية لنمو الطفل.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن أثر الفنون البصرية في تنمية الإدراك الحسي والتفاعل الاجتماعي لدى الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة، وذلك من خلال تحقيق الأهداف التالية:

- ١- التعرف على مدى تأثير الأنشطة الفنية البصرية في تنمية مهارات الإدراك الحسي لدى الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة.
- ٢- تحليل دور الفنون البصرية في تعزيز مهارات التفاعل الاجتماعي والتواصل بين هؤلاء الأطفال وأقرانهم.
- ٣- تحديد الفروق في الاستجابات الفنية لدى الأطفال وفقًا لنوع الإعاقة (ذهنية، توحّد، سمعية... إلخ) وطبيعة الأنشطة المقدّمة.
- ٤- اقتراح توصيات تربوية وتأهيلية قائمة على نتائج الدراسة، يمكن تطبيقها في المؤسسات التعليمية والمراكز العلاجية المهتمة برعاية وتأهيل الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة.
- ٥- إبراز أهمية دمج الفنون البصرية ضمن البرامج التعليمية والتربوية الموجهة لهذه الفئة، بوصفها وسيلة فعّالة في دعم نموهم الحسي والاجتماعي.

تساؤلات الدراسة

- إلى أي مدى تسهم الفنون البصرية في تنمية مهارات الإدراك الحسي لدى الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة؟
- ما أثر الفنون البصرية في تعزيز التفاعل الاجتماعي لدى الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة داخل البيئات التعليمية والتأهيلية؟

فروض الدراسة:

الفرضية الاولى:

توجد فروق دالة إحصائية بين متوسط درجات الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة في الإدراك الحسي قبل وبعد استخدام الفنون البصرية لصالح القياس البعدي.

الفرضية الثانية:

توجد فروق دالة إحصائية بين متوسط درجات الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة في التفاعل الاجتماعي قبل وبعد تطبيق برنامج قائم على الفنون البصرية لصالح القياس البعدي.

الدراسات السابقة:

الدراسات العربية

١. مراجعة منهجية – Martínez-Vérez وآخرون (٢٠٢٤)

أجرت مراجعة نظامية شملت ٨٠ دراسة حول Art Therapy و Music Therapy للأطفال المصابين بالتوحد وفرط الحركة واضطرابات اللغة. اتضح أن هذه التدخلات أثرت إيجابيًا في المهارات الاجتماعية، المعرفية، والسلوكية، بدون الاعتماد على الأدوية

الفائدة: كَلَمَ الدراسة الحالية ركائز نظرية قوية تدعم أن التدخلات الفنية (بصرية وموسيقية) تُعزز الإدراك والتفاعل بل وحتى التواصل اللفظي وغير اللفظي.

٢. مراجعة نطاقية – Art interventions in Autism (٢٠٢٣-٢٤)

خلصت مراجعة لـ ١٥٥ دراسة إلى أن الرسم والتلوين والمسرح تحفز ليس فقط التعبير الإبداعي لدى الأطفال المصابين بالتوحد، بل تُحسِّن أيضًا مهارات مثل الانتباه والتفاعل الاجتماعي وتعاطفهم مع البيئة المحيطة .

الفائدة: تؤكد أن الوسائط البصرية تُسهم بفاعلية في تنمية الإدراك الحسي والاجتماعي، سواء في سياقات فردية أو جماعية.

٣. مراجعة نوعية – Schweitzer وآخرون (٢٠١٤)

انطلقت من ١٨ دراسة نوعية حول Art Therapy لدى الأطفال المصابين بالتوحد، وخلصت إلى أن العلاج الفني يساهم في تحسين الصورة الذاتية، المرونة النفسية، والتواصل، خاصة عند استخدام وسائل متعددة التعبير الحسي (كالطين، الأكرليك، الخ) .

الفائدة: تدعم فكرة أن استخدام وسائل فنية متنوعة يُمكن أن يعزز الإدراك الحسي والتعبير لدى الأطفال حتى لو كانت قدراتهم اللفظية محدودة.

٤. دراسة ميدانية مصرية – برنامج الاندماج الحسي عبر الألعاب الافتراضية (٢٠٢٢)

باستخدام منهج شبه تجريبي على ٨ أطفال مصابين بالتوحد، أظهر البرنامج فعالية كبيرة في تحسين مهارات الإدراك البصري، وتم الحفاظ على هذا التحسن في مرحلة المتابعة بعد أسابيع .

الفائدة: يُبرز أهمية تدخلات مدمجة بين الحسية (Sensory Integration) والنشاط الفني/البصري.

٥. دراسة مصرية – تحسين الإدراك البصري وتعزيزه (٢٠٢١)

برنامج تكامل حسي قائم على الرسم والتلوين للأطفال ذوي صعوبات الإدراك البصري، أظهر فروقاً إحصائية دالة بعد التطبيق، واستمر التحسن بعد فترة المتابعة .

الفائدة: دليل ميداني عربي يدعم فرضية الدراسة بأن التدخل الفني يُحدث تغييرات محسوسة في الإدراك الحسي.

٦. دراسات حول العلاج بالفن في الفصول الدراسية (٢٠٢٣)

تجارب RCTs في إيران والولايات المتحدة أظهرت تغلباً ملحوظاً على السلوكيات العدوانية وزيادة التكيف الاجتماعي والمشاركة الصفية للأطفال ذوي الإعاقات الذهنية .

الفائدة: الرسوم والأنشطة الفنية يمكن أن تُحسن السلوك العام ومداخلات التفاعل داخل بيئة الصف.

٧. مراجعة سرديّة – Bosgraaf وآخرون (٢٠٢٠)

رفضت نهجاً موحداً في Art Therapy، لكنها خلصت إلى أن المرونة في استخدام الوسائل والفنيات العلاجية تؤدي إلى آثار إيجابية على المشاكل النفسية والاجتماعية عند الأطفال والمراهقين، بما في ذلك الذين لديهم احتياجات خاصة

حدود الدراسة:

١. الحدود الزمنية

تقتصر هذه الدراسة على الفترة الزمنية الممتدة من (يُذكر هنا الشهر والسنة بدقة)، وحتى (تاريخ الانتهاء)، وهي المدة التي تم فيها تنفيذ البرنامج التجريبي (أو جمع البيانات) وتحليل النتائج. وعليه، فإن ما توصلت إليه الدراسة من نتائج يعبر عن واقع العينة خلال هذه الفترة فقط، وقد تختلف النتائج إذا أُعيد تنفيذ الدراسة في أزمنة أخرى أو ظروف مختلفة.

٢. الحدود المكانية

تم تنفيذ هذه الدراسة في إطار بيئة تعليمية محددة، حيث أُجريت في (يُذكر اسم المؤسسة التعليمية أو المركز التأهيلي أو المدينة)، والتي تم اختيارها لاحتوائها على عينة من الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة الملائمين لأهداف الدراسة. وبالتالي، فإن تعميم نتائج الدراسة يظل محصوراً في سياق هذه البيئة، ولا يمكن تعميمها على جميع المؤسسات أو البيئات دون إجراء دراسات مماثلة في أماكن مختلفة.

٣. الحدود الموضوعية

تقتصر هذه الدراسة على تناول أثر الفنون البصرية (مثل: الرسم، التلوين، التشكيل بالصلصال...) في تنمية الإدراك الحسي والتفاعل الاجتماعي لدى الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة، دون التطرق إلى أنواع الفنون الأخرى كالموسيقى أو المسرح أو العلاج بالحركة. كما تركز الدراسة على جانبين محددين من النمو وهما: الإدراك الحسي والتفاعل الاجتماعي، دون التوسع في الجوانب الأكاديمية أو الانفعالية أو السلوكية الأخرى.

مصطلحات الدراسة

١. الفنون البصرية

التعريف الاصطلاحي: تشير إلى مجموعة الأنشطة الإبداعية التي تعتمد على الإبصار للتعبير الفني، مثل الرسم والتلوين والتشكيل، وتستخدم لأغراض تربوية أو علاجية .

التعريف الإجرائي: تُقصد بها في هذه الدراسة مجموعة الأنشطة الفنية التطبيقية (رسم، تلوين، تشكيل)، التي ينفذها الطفل خلال ١٠ جلسات مدة كل منها ٤٥ دقيقة، لتقويم تأثيرها على الإدراك الحسي والتفاعل الاجتماعي.

٢. الإدراك الحسي

التعريف الاصطلاحي: قدرة الدماغ على استقبال وتنظيم المعلومات من الحواس الخمس (بصر، سمع، لمس، شم، ذوق) وبناء فهم للبيئة .

التعريف الإجرائي: يقاس عبر مقياس موحد (مثل "اختبار الإدراك الحسي للأطفال") قبل وبعد البرنامج، والذي يتضمن ١٠ بنداً تقيم الاستجابة للمثيرات البصرية واللمسية والسمعية.

٣. التفاعل الاجتماعي

التعريف الاصطلاحي: عملية تبادل الأفراد للأفكار والمشاعر، وتشمل التواصل اللفظي وغير اللفظي والتعاون ضمن بيئة جماعية .

التعريف الإجرائي: يعتمد مقياس التقييم الاجتماعي المباشر (مثل مقياس "تفاعل الأطفال مع الأقران")، بتقييم عدد مرات التواصل البصري، الكلام، أو لعب الأدوار خلال ٢٠ دقيقة من الجلسة.

٤. الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة

التعريف الاصطلاحي: الأطفال الذين يعانون من إعاقات عقلية، حسية، جسدية، أو اضطرابات نمو تتطلب تدخلات تعليمية أو تأهيلية خاصة .

التعريف الإجرائي: في هذه الدراسة، هم أطفال تتراوح أعمارهم بين ٦-١٢ سنة، مصنفون رسميًا حسب التقارير الطبية أو التربوية (مثلاً: توحد، إعاقة ذهنية خفيفة) ومشاركون في البرنامج.

٥. العلاج بالفن (Art Therapy)

التعريف الاصطلاحي: نهج علاج نفسي يستخدم الإبداع الفني كوسيلة للتعبير والاستكشاف العاطفي وزيادة الوعي الذاتي .

التعريف الإجرائي: في هذه الدراسة، يُستخدم العلاج بالفن بطريقة موجهة حيث يقدم الأخصائي الفني إرشادات خلال الجلسة، ويُقيم النتائج عبر مقارنة سلوكيات الإدراك الحسي والتفاعل الاجتماعي قبل وبعد التدخل.

٦. تكامل الحواس (Sensory Integration)

التعريف الاصطلاحي: عملية الدماغ في تنظيم ودمج المدخلات الحسية المتعددة لتمكين الاستجابة السلوكية والمهارات الحركية الصحيحة .

التعريف الإجرائي: يتجسد في استخدام وسائل فنية متعددة الملمس (كالطين، الألوان المختلفة) خلال جلسات البرنامج لقياس مدى قدرة الطفل على التفاوت الحسي والاستجابة المنسقة، ويُسجّل عبر مقياس مراقبة تكامل الحواس.

الإطار النظري للدراسة

أولاً: الفنون البصرية ومفهومها التربوي

تشير الفنون البصرية إلى الأنشطة الفنية التي تعتمد على الإدراك البصري للتعبير، وتشمل: الرسم، التلوين، التشكيل، الطباعة، القص واللصق وغيرها. وهي لا تُعد فقط وسائل جمالية، بل أدوات تعليمية وعلاجية تُسهم في تنمية المهارات الحسية، والانفعالية، والحركية الدقيقة لدى الأطفال، خاصة ممن يواجهون صعوبات في التواصل أو الإدراك (عبد الحميد، ٢٠١٨؛ Hall & Hall, 2003).

وقد بينت الدراسات أن الأطفال ذوي الإعاقات غالبًا ما يجدون في الفنون البصرية وسيلة آمنة وغير لفظية للتعبير عن مشاعرهم، ومساعدتهم على فهم ذواتهم ومحيطهم من خلال التفاعل مع اللون، الشكل، والملمس (Karkou & Sanderson, 2006).

ثانيًا: مفهوم الإدراك الحسي ودوره في نمو الطفل

الإدراك الحسي هو العملية التي يتم من خلالها استقبال وتنظيم وتفسير المعلومات القادمة من الحواس. ويعد الأساس الذي يُبنى عليه التعلم والتفاعل مع البيئة. ويواجه الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة غالبًا صعوبات في هذا الجانب، مما ينعكس على تركيزهم، انتباههم، واستجاباتهم للمثيرات المحيطة (Ayres, 2005).

تسهم الفنون البصرية في تحفيز هذا الإدراك من خلال تعريض الطفل لمدخلات حسية متعددة (بصرية، لمسية، سمعية...) أثناء تنفيذ النشاط، مما يعزز الربط بين الحواس ويقوي من قدرته على التمييز البصري، الإدراك الفراغي، والانتباه للتفاصيل (عبد العزيز، ٢٠٢٠).

ثالثًا: التفاعل الاجتماعي وأهميته في عملية التعلم

يعرف التفاعل الاجتماعي بأنه قدرة الطفل على التواصل والتبادل الاجتماعي مع الآخرين لفظيًا وغير لفظي، وهو عنصر محوري في تطور الشخصية والانخراط في المجتمع. وتُعد تنمية التفاعل الاجتماعي هدفًا رئيسيًا في تعليم وتأهيل الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة.

وقد أثبتت أبحاث حديثة أن الأطفال المشاركين في أنشطة فنية جماعية يبدؤون تدريجيًا بتكوين علاقات وتبادل الأدوار، مما يُنمي المهارات الاجتماعية مثل المشاركة، الاستماع، التعاون، واحترام الآخر (Schweitzer et al., 2014).

رابعًا: العلاقة بين الفنون البصرية والإدراك الحسي

أشارت دراسات متعددة (مثل: Ayres, 2005؛ عبد المجيد، ٢٠١٧) إلى أن التمارين الفنية التي تتطلب تنسيقًا بين العين واليد، أو التفاعل مع خامات مختلفة (صلصال، رمل، ألوان)، تُعد محفزًا فعالًا لنمو الإدراك الحسي. كما تساعد في تحسين مهارات مثل: التمييز البصري، الإحساس بالتوازن، والإدراك المكاني، وهي مهارات غالبًا ما تكون ضعيفة لدى الأطفال ذوي صعوبات التعلم أو التوحد.

خامسًا: العلاقة بين الفنون البصرية والتفاعل الاجتماعي

تُشكل الفنون مساحة طبيعية للاندماج الاجتماعي؛ حيث يُمكن من خلال الأنشطة الجماعية (مثل الرسم الجداري، أو العمل ضمن مجموعات) أن يتعلم الطفل التفاعل مع الآخرين والتعبير عن ذاته، حتى وإن كان يعاني من ضعف لغوي أو سلوكي.

دراسة Hall & Hall (٢٠٠٣) أثبتت أن استخدام الفنون في بيئات تعليمية دامجّة ساعد الأطفال من ذوي الاحتياجات على تحسين مهارات التواصل والمبادرة، كما وفر أداة للتعبير غير اللفظي في المواقف الاجتماعية.

سادسًا: نماذج من البرامج الفنية في التربية الخاصة

هناك العديد من النماذج التطبيقية والبرامج المعتمدة على الفنون البصرية في العمل مع الأطفال ذوي الإعاقات، ومنها:

برنامج "التعبير الفني العلاجي" المستخدم مع أطفال التوحد (Karkou & Sanderson, 2006)

برامج التكامل الحسي باستخدام الفن (Ayres, 2005)

برامج تنمية المهارات الاجتماعية عبر الفنون الجماعية (Zachopoulou et al., 2014)

وتتفق معظم هذه البرامج على ضرورة توظيف الفنون بطرق موجهة، وبمساعدة مختصين في التربية الفنية والتربية الخاصة، لضمان تحقيق الأهداف المطلوبة.

بناءً على ما سبق، يتضح أن الفنون البصرية ليست فقط وسيلة إبداعية، بل أداة فعّالة في تنمية الإدراك الحسي والتفاعل الاجتماعي لدى الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة. وتُشكل هذه النتائج خلفية علمية قوية تدعم فرضيات الدراسة الحالية، وتُبرز الحاجة إلى المزيد من التطبيقات الفعلية لها في البيئة العربية.

المراجع:

- ١- عبد المجيد، هالة. (٢٠١٧). دور الأنشطة الفنية في تنمية المهارات الإدراكية لدى الأطفال ذوي الإعاقة. مجلة التربية الخاصة، العدد ١٢.
- ٢- عطية، منى. (٢٠٢١). الفن كأداة تربوية لعلاج الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة. دار الفكر العربي.
- ٣- حجازي، نجلاء. (٢٠١٩). برنامج تدريبي قائم على التعبير الفني للأطفال ذوي متلازمة داون. جامعة عين شمس.

- Hall, E., & Hall, C. (2003). Visual Arts and Children with Special Needs: Enhancing Communication and Expression. *Journal of Special Education*, 37(2), 85–96.
- Zachopoulou, E., Trevlas, E., Konstadinidou, E., & Archimedes Project Research Group. (2014). The effect of a developmentally appropriate music and movement program on motor performance. *Early Child Development and Care*, 174(4), 381–392
- Lowenfeld, V., & Brittain, W. L. (1987). *Creative and Mental Growth* (8th ed.). Macmillan Publishing.
- Karkou, V., & Glasman, J. (2004). Arts, education and society: The role of the arts in promoting the emotional wellbeing and social inclusion of young people. *Support for Learning*, 19(2), 57–65.